



مركز حرمون  
للدراستات المعاصرة  
HARMOON  
Arařtirmalar Merkezi  
For Contemporary Studies

# دور نخبة رجال الأعمال (البنزنس) السورية في الصراع السوري: سردية طبقية



ترجمات

ترجمة: أحمد عيشة



## مركز حرمون للدراسات المعاصرة

هو مؤسسة بحثية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث السياسية والاجتماعية والفكرية المتعلقة بالشأن السوري خاصة، والصراع الدائر في سورية وسيناريوهات تطوره، وتهتم بتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي. كما تهتم أيضاً بالقضايا العربية، والصراعات المتعلقة بها، وبالعلاقات العربية الإقليمية والدولية .

يُنفذ المركز مشاريع ونشاطات، ويُطلق مبادرات من أجل بناء مستقبل سورية، على أسس وقيم الديمقراطية والحرية والمساواة وحقوق الإنسان وقيم المواطنة المتساوية، ويسعى لأن يكون ميداناً للحوار البناء، وساحة لتلاقح الأفكار

### قسم الدراسات:

يُقدّم هذا القسم الدراسات العلمية والموضوعية التي تناقش القضايا السورية الأساسية، وتعالج المشكلات الرئيسية، وتقترب الحلول والبدائل المناسبة، وهو مسؤول عن إنتاج المواد البحثية العلمية الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والثقافية والتربوية، التي تستند إلى جهدٍ بحثيٍّ أصيلٍ ورضيخ يتوافق مع أصول العمل البحثي العلمي.

يحرص قسم الدراسات على تقديم قراءات للواقع الراهن، ويضع على جدول أعماله إنتاج دراسات من الفئات البحثية كافة، بهدف إعادة بناء المنظومة الفكرية والسياسية والقانونية والثقافية والتربوية في سورية المستقبل، ويستكشف التأثيرات المتبادلة بين السياسة والاقتصاد والقانون والمجتمع والفكر، ويبحث في تأثيرات الحرب السورية وسبل تجاوزها في المستقبل في نظام ديمقراطي تعددي تداولي.



## دور نخبة رجال الأعمال (البنزس) السورية في الصراع السوري: سردية طبقية

The role of the Syrian business elite in the Syrian conflict: a class narrative	اسم الدراسة الأصلي
سيهام الأتاسي، Siham al-Atassi	الكاتب
مجلة الدراسات الشرق أوسطية البريطانية، British Journal of Middle Eastern Studies	مكان النشر وتاريخه
<a href="https://bit.ly/33DWqWP">https://bit.ly/33DWqWP</a>	رابط الدراسة
6281 /7240	عدد الكلمات
وحدة الترجمة/ أحمد عيشة	ترجمة

(\*) – الآراء الواردة في هذه الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز



## المحتويات

3.....	ملخص
4.....	مقدمة
7.....	إنتاج الولاء للنظام
9.....	مقاومة رجال الأعمال للنظام
10.....	النظام يكافئ الموالين
13.....	ثمن البقاء على الحياد
15.....	إعادة التفكير في الطبقة والأبوية الجديدة والصراع السوري
19.....	الخاتمة

## ملخص

عندما خلف بشار الأسد والده حافظ في عام 2000، أنشئت «دولة برجوازية» جديدة في سورية، من خلال أساليب التحرر (الليبرلة)، والمقاربات الأبوية الجديدة (نيو باترمونية). ضمت هذه البرجوازية الجديدة، بالإضافة إلى العلويين المرتبطين مباشرة بالأسد، السنّة والمسيحيين الذين أثبتوا ولاءهم التام للأسد. وعندما بدأ الصراع في عام 2011، توقع كثيرون أن ينضمّ رجال الأعمال السنّة إلى المعارضة، وأن يتعدوا عن نظام الأسد. ومع ذلك، باستثناء ثلاث حالات نُوقشت في الدراسة؛ هذا لم يحدث. أحاول في هذه الدراسة أن أشرح كيف أسهم سلوك نخبة رجال الأعمال في بقاء نظام الأسد، وإطالة أمد الصراع. وللقيام بذلك، أناقش الإستراتيجيات المختلفة التي اعتمدها نخبة رجال الأعمال لدعم النظام، وفي الوقت نفسه أقوم أيضًا بتحليل أدوات الاستقطاب والقمع المختلفة التي استخدمها النظام لإخضاع نخبة رجال الأعمال وتعبئتها، من خلال دراسة هذه الأدوات والأساليب التي تعتمد على خليط من الأساليب التطبيقية والأبوية الجديدة، وأختتم هذه الدراسة بتقديم منظور آخر، وفهم مختلف، للأنظمة الاستبدادية وبنيتها، مع تقييم قوة هذه الأنظمة، والتنبؤ بأساليبها في حالة الانتفاضات.

## مقدمة

مع صعود حزب البعث الاشتراكي وراعيه حافظ الأسد، مهّدت البنية السياسية في سورية الطريق لأعضاء الحزب وعائلاتهم المقربة لمراكمة الثروة والسلطة. أسهمت هذه المقاربة الأبوية (الباترونية) في إعادة تشكيل النظام الطبقي، وخلق برجوازية جديدة. فالبرجوازية السابقة، التي كانت تتألف من ملاك الأراضي والنخبة الحضرية من السنّة، هُتمّشت واستُبدلت بـ «برجوازية صغيرة»، تضمّ بشكل أساسي البعثيين التقليديين.

عندما خلف بشار الأسد والده عام 2000، تغيّرت الإستراتيجية السياسية والاقتصادية في سورية تغيّراً جذرياً؛ حيث جرّد بشار الأسد أعضاء حزب البعث من امتيازاتهم، كقرتهم من النظام ومزاياهم السياسية والاقتصادية، ووزّع هذه الامتيازات عوضاً عن ذلك بين المسؤولين الحكوميين البارزين، وأعضاء الطبقات المتوسطة والعليا في البلاد، عبر سلسلة من المبادرات الأبوية (الجديدة). لم تضم برجوازية (الدولة) الجديدة في سورية العلويين المرتبطين مباشرة ببشار فحسب، بل شملت أيضاً السنّة والمسيحيين. ومُنحت هذه البرجوازية الجديدة الفرصة لمراكمة الثروات من خلال إثبات ولائها والتعاون مع نظام الأسد ضدّ المعارضين التي تهّم النظام بممارسة الطائفية وتفضيل العلويين على الجماعات الطائفية الأخرى، ولا سيّما السوريين السنّة. هدفه هو وضع منطق هذا التناقض الظاهري الذي لخصه بوضوح وائل الخطيب، المنسق العام لمجموعة الضباط الأحرار في حمص، في مقابلة أجريت معه عام 2013، إذ قال: "رجال الأعمال السنّة، بأموالهم والدعم غير المشروط للنظام، هم السبب في بقاء النظام على قيد الحياة"<sup>(1)</sup>.

في الواقع، فإن غالبية رجال الأعمال الذين شكّلوا طبقة النخبة التجارية الجديدة هذه في عهد بشار الأسد هم من خلفية سنّية، باستثناء الدائرة الداخلية، مثل مخلوف وشوكت وشاليش؛ الذين يرتبطون بطريقة أو بأخرى بالأسد من خلال الزواج. يذكر سمير سعيّفان أن من قائمة أهم [100] رجل أعمال في سورية، هناك (23) في المئة منهم من سلالة كبار المسؤولين الحكوميين أو شركائهم؛ و(48) في المئة من رجال الأعمال الجدد، ومعظمهم تربطهم علاقات وثيقة وفسادة بالأجهزة الأمنية؛ و(22) في المئة كانوا جزءاً من البرجوازية التقليدية قبل سياسات التأميم في الستينيات، وكان لبعضهم أيضاً علاقات فاسدة مع قادة الدولة؛ و(7) في المئة لديهم أنشطتهم التجارية الأساسية خارج سورية. إذا نظرنا إلى الخلفيات الدينية لرجال الأعمال هؤلاء، نجد أن (69) في المئة كانوا من السنّة، و(16) في المئة من العلويين، و(14) في المئة من المسيحيين. على الرغم من هيمنة رجال الأعمال السنّة، فمن المهم ملاحظة أنه من بين أغنى عشرة رجال أعمال في سورية، كانت الغالبية من العلويين المرتبطين مباشرة بالأسد<sup>(2)</sup>.

في عهد حافظ الأسد، صُنّف رجال الأعمال الموالون على أنهم يشكلون تهديداً أساسياً للسلطة الاقتصادية والسياسية للنظام. لكنهم أصبحوا تدريجياً مكوناً مهماً للنظام، ودُمجوا بشكل متزايد في

(1) - مايكل بيزي ونهى شعبان، «تحت السطح الطائفي، دعائم سنّية لنظام الأسد»، سورية على طول، 20 حزيران/ يونيو 2013، <https://bit.ly/33ohrVK>

(2) - سمير سعيّفان، سياسة توزيع الدخل والدورة في الانفجار الاجتماعي في سورية، خلفيات الثورة، دراسات سورية (الدوحة: المركز العربي للبحوث ودراسات السياسات، 2013).

مؤسساته المختلفة<sup>(3)</sup>. على الرغم من أن الروايات الإعلامية تظهر في كثير من الأحيان أن دعم الأسد يأتي في المقام الأول من العلويين، فإن كثيراً من الداعمين الرئيسيين للنظام اليوم هم من التكنوقراط المعاصرين، بعضهم من السنّة الذين حقّقوا الرخاء الاقتصادي في ظلّ نظام بشار<sup>(4)</sup>. في الواقع، في حين أن إصلاحات بشار الأسد الاقتصادية (التي بدأت في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، من خلال موجات من الخصخصة، وغيرها من الإجراءات الليبرالية الجديدة "نيوليبرالية") أدت إلى عزل قطاعات كبيرة من المجتمع السوري؛ فإنّ القربية بين النظام وشركائه التجاريين أمرٌ حاسم، لفهم طول عمر (تعمير) النظام في الصراع الحالي. على الرغم من بعض الانشقاقات، فإن معظم نخبة رجال الأعمال في سورية، بغضّ النظر عن خلفيتها الدينية، ما تزال داعمة لنظام الأسد<sup>(5)</sup>. تمامًا مثل والده، استخدم بشار الأسد التحرير الاقتصادي (اللبّولة) كأداة لتعزيز وزيادة الدعم للحكومة من خلال الحفاظ على ولاء وطاعة المستفيدين من هذه الإصلاحات، ولا سيّما الطبقات الوسطى العليا من السنّة الحضريين<sup>(6)</sup>. نتيجة لهذه التحولات، وعلى الرغم من الاضطرابات السياسية التي اجتاحت سورية منذ آذار/ مارس 2011، كان الانسجام والتماسك الملحوظان لنخبة النظام ودوائرها المقربة من أكثر العوامل إلحاحًا في هذا الصراع<sup>(7)</sup>.

على ضوء ما سبق، أجادل بأن نخبة رجال الأعمال دعمت مجموعة من الممارسات التي أدت إلى استقرار النظام، وبذلك أطالت أمد الصراع. وسيكون التركيز في هذه الدراسة على كيفية إثبات ولاء نخبة رجال الأعمال لنظام الأسد، وما حصلت عليه مقابل هذا الولاء. على سبيل المثال، سأوضح كيف تورط رجال الأعمال في تمويل الميليشيات والفرق العسكرية الموالية للنظام، أو استخدام مناصبهم الإعلامية لنشر رواية النظام والدعاية له، وأخيرًا إنقاذ النظام اقتصاديًا، عندما أصبح كثير من أعضائه خاضعين لعقوبات دولية. وإضافة إلى ذلك، سأقدّم أمثلة على كيفية معاقبة النظام لمن رفضوا تقديم المساعدة العلنية أو المالية. ومن أجل تعزيز فهمنا للعلاقات بين الدولة ورجال الأعمال (البنس)، سأدرس متمعنة أيضًا هذه الحالات من منظور طبقي وأبوي جديد (نيوباترموني).

إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة حول سبب بقاء غالبية رجال الأعمال موالين للأسد هي عملية ذات شقين، بسبب وجود كل من التشارك/ التعاون والأدوات القمعية. الأول (التشارك) هو النظر إلى المزايا

(3) - فولكر بيرثيس، «القطاعات الصناعية والتجارية السورية الخاصة والدولة»، المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط 86، العدد 2 (1992): ص. ص 207-230.

(4) - زوي هو، «لماذا لا يزال بشار الأسد في السلطة»، الجزيرة، 4 تشرين الأول/ أكتوبر 2016.

<https://bit.ly/3FMvB0d>

(5) - شامل العظمة، «طريق سورية إلى الصراع: نهاية» الإصلاح الريعي التنموي» وتوطيد قاعدة النخبة الجديدة»، السياسة والمجتمع 44، العدد 4 (2016): ص. ص 499-523.

(6) - بينيديتا بيرتي وجوناثان باريس، «ما وراء الطائفية: الجغرافيا السياسية والتجزئة والحرب الأهلية السورية»، تقييم إستراتيجي 16، العدد 4 (2014): ص. ص 21-34؛ وبسام حداد، شبكات الأعمال (البنس) في سورية: الاقتصاد السياسي للمقاومة الاستبدادية (ستانفورد، كاليفورنيا: مطبعة جامعة ستانفورد، 2011).

(7) - بسام حداد، برجوازية الدولة السورية: العمود الفقري العضوي للنظام. نقد الشرق الأوسط 21، العدد 3 (2012): ص. ص 231-57. هذا يتغير الآن مع بدء القتال العلني بين الأسد وابن خاله مخلوف، الذي بدأ في صيف عام 2019. وجمدت السلطات السورية في الأشهر القليلة الماضية بعض أصول مخلوف، واعتقلت مقربين منه للضغط عليه. التفسير الذي قدمه النظام هو أن مخلوف عليه ما لا يقل عن 130 مليار = ليرة سورية (180 مليون دولار)، من الضرائب غير المدفوعة لإمبراطورية الاتصالات السلوكية واللاسلكية. انظر جوزيف ضاهر، «القصر الرئاسي السوري يعزز تركيزه للسلطة: صدع مخلوف-الأسد»، معهد الجامعة الأوروبية: مركز روبرت شومان للدراسات المتقدمة، 13 أيار/ مايو 2020.

والأرباح التي ينالها أولئك الذين دعموا الأسد بإخلاص، والآخر (الأدوات القمعية) هو النظري الطرق التي عاقب بها الأسد أولئك الذين ظلّوا محايدين أو عبّروا عن دعمهم للانتفاضة. يجادل فرانتزوكيندال - تايلور (2014) بأن الأنظمة الدكتاتورية تعتمد على أساليب مختلفة من القمع والتعاون للتأثير في سلوك السكان<sup>(8)</sup>. على الرغم من استخدام القمع كأداة اجتماعية وسياسية لإبقاء الجماهير في القاع، فإن الاستقطاب/ التعاون - عن طريق الرعاية (patronage) مثلاً - هو أداة شعبية وفعّالة بالقدر نفسه<sup>(9)</sup>. بينما يتمتع رجال الأعمال الموالون بمزيد من الامتيازات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مقابل دعمهم، فإن أولئك الذين يظلّون محايدين، أو يتحدثون ضدّ النظام، يواجهون عواقب وخيمة. وتتنوع هذه العواقب بين مصادرة ممتلكاتهم وممتلكات عائلاتهم، إلى توجيه اتهامات بالإرهاب لهم. وقد مكّن هذا الصدع من ظهور أسماء جديدة، وبروزها إلى الواجهة، والاستفادة من ممتلكات أولئك الذين أدرجهم النظام في القائمة السوداء، ولا سيّما أن النظام كان بحاجة إلى الاعتماد على الأشخاص المعفيين من العقوبات الدولية. سامر فوز، 46 عامًا، رجل أعمال سنيّ من اللاذقية، وقيم حاليًا في دبي، هو أفضل مثال على كلتا الحالتين، كما سنرى في الأقسام التالية.

بالإضافة إلى الحفاظ على أولئك الذين ثبت ولاؤهم في مناصبهم، فإن شراكة النظام مع أعضاء مختارين من البرجوازية الثرية - ولا سيما البرجوازية السنية الدمشقية - أعطت للأخيرة مصلحة راسخة في الحفاظ على استقرار النظام، وعلاقتها معه، ما دامت أعمالهم مزدهرة<sup>(10)</sup>. وقد أسهم اعتماد النظام على رجال الأعمال المخلصين في خلق طبقة اجتماعية جديدة. وبسبب طول الصراع، فقد سُمح لهذه الطبقة الجديدة بمراكمة مزيد من رأس المال والثروة، من خلال تلبية الاحتياجات الاقتصادية للنظام التي نتجت عن العقوبات الدولية وهروب رأس المال<sup>(11)</sup>. ومن المفارقات أن العقوبة التي فرضها المجتمع الدولي شجّعت بعض رجال الأعمال على أن يصبحوا أكثر انخراطاً من الناحية الاقتصادية مع النظام، بينما تزداد الأفاق الاقتصادية خلال الصراع<sup>(12)</sup>.

(8) - إريكا فرانتزوكيندال وأندريا كيندال تايلور، «مجموعة أدوات الديكتاتور: فهم كيفية تأثير الاستحواذ على القمع في الأنظمة الاستبدادية»، مجلة أبحاث السلام 51، العدد 3 (2014): ص. ص 332-346.

(9) - فرانتزوكيندال تايلور، «مجموعة أدوات الديكتاتور»، ص. ص 332-333.

(10) - نيكولاس فان دام، الصراع على السلطة في سورية: السياسة والمجتمع في ظل حكم الأسد وحزب البعث (لندن: آي بي توريس، 2011).

(11) - جون كدينغتون، رحلة رأس المال: التقديرات والقضايا والتفسيرات (برينستون، نيوجيرسي: قسم التمويل الدولي، قسم الاقتصاد، جامعة برينستون، 1986). هروب رأس المال في كدينغتون باعتباره "تدفقات رأس المال المضاربة على المدى القصير [التي تتضمن] الأموال الساخنة التي تستجيب للضرائب السياسية أو المالية الباهظة، أو التشديد المحتمل لضوابط رأس المال أو التخفيض الكبير لقيمة العملة المحلية، أو التضخم الجامح الفعلي أو الأولي».

(12) - سامر عبود، «نخبة رجال الأعمال في سورية: بين المواءمة السياسية والتحوط في رهاناتهم»، 22 آب/ أغسطس 2013،

<https://bit.ly/3qxODCU>



## إنتاج الولاء للنظام

في هذه الدراسة، أكشفت عن الإستراتيجيات المختلفة التي استُخدمت لتعزيز الروابط (الاقتصادية) بين نظام الأسد ونخبة رجال الأعمال. وأركز بشكل رئيس على خمس إستراتيجيات: الزواج؛ تمويل الجماعات (شبه) العسكرية والشبيحة؛ تمويل رحلات وحملات التصويت؛ توفير الغذاء أثناء الأزمة؛ لعب دور الوسيط للنظام في توفير بعض الضروريات<sup>(13)</sup>.

أولاً، لتوطيد هذه العلاقة القائمة حديثاً بين الدولة وقطاع الأعمال (البنزس)، لجأ العديد من أفراد عائلة الأسد إلى الزواج، بوصفه وسيلة لتعزيز روابطهم مع العائلات البارزة والدوائر المرموقة لتوسيع شبكات الرعاية الخاصة بهم<sup>(14)</sup>. الزواج بين بشار الأسد وأسماء الأخرس البريطانية من أصل سوري، وهي ابنة دبلوماسي سني بارز، وابنة أخ رجل الأعمال السني الحمصي الشهير طريف الأخرس، هو خير مثال على هذا التحالف. وعلاوة على ذلك، فإن ماهر، شقيق بشار متزوج أيضاً من امرأة سنية، وبذلك فهو مرتبط، من خلال زواجه، مع محمد حمشو، رجل الأعمال السوري<sup>(15)</sup>. ونتيجة زواجه من أخت زوجة ماهر، أصبح حمشو شخصية سياسية واقتصادية قوية، وانتُخب عضواً في مجلس الشعب في عامي 2003 و2007، وازدهرت أعماله المختلفة بشكل أكبر<sup>(16)</sup>.

تركزت الإستراتيجية الثانية حول تمويل ميليشيات الشبيحة والقوات (شبه) العسكرية، أو تقديم المساعدة اللوجستية لنظام الأسد لقمع الاحتجاجات. لم يدخر الموالون للأسد أي نفقة، عندما ساعدوا في الحفاظ على قبضته على البلاد وتعزيزها. على سبيل المثال، يُعدّ كل من محمد حمشو وسمير حسن (الأخير وكيل سابق لشركة نستله في سورية) مثالين على دعم نخبة رجال الأعمال لنظام الأسد، حيث يقوم كل منهما بتحويل مبالغ كبيرة من الأموال إلى مبادرات تهدف إلى قمع الاحتجاجات<sup>(17)</sup>. وبحسب كلام محلي، قام كثير من أصحاب شركات النقل بتوفير حافلاتهم ومركباتهم لقوات الشبيحة وتحركاتها. واختار بعض رجال الأعمال تمويل الوحدات العسكرية والاستخباراتية، على سبيل المثال، سامر فوز الذي مؤل ذراعاً شبه عسكري لفرقة المخابرات العسكرية، وأيمن جابر الذي مؤل صقور الصحراء والمغاوير البحرية التي ساعدت

(13) - أوغور أوميت أونفور، "الشبيحة: المجموعات شبه العسكرية، والعنف الجماعي والاستقطاب الاجتماعي في حمص"، العنف: مجلة دولية 1، العدد 1 (2020): ص. ص 59-79. يعرف أونفور الشبيحة على أنها «جماعات مسلحة غير نظامية ترتدي ملابس مدنية وترتكب مجموعة واسعة من أعمال العنف ضد المدنيين».

(14) - شموئيل بار، «سورية بشار: النظام ونظريته الإستراتيجية للعالم»، الإستراتيجية المقارنة 25، العدد 5 (2006): ص. ص 353-445.

(15) - بار، «سورية بشار: النظام». ينشط حمشو في قطاعات مختلفة مثل السياسة والتجارة وتصنيع المعادن والإنتاج التلفزيوني.

(16) - كارولين دوناتي، «اقتصاديات الترقية الاستبدادية في سورية»، في الأنظمة الاستبدادية في الشرق الأوسط: الحوكمة، والتنافس، ومرونة النظام في سورية وإيران، تحرير ستيفن هايدمان وريوند ليندرز (ستانفورد، كاليفورنيا: مطبعة جامعة ستانفورد، 2013)، ص. ص 35-60.

(17) - جهاد يازجي، «اقتصاد الحرب في سورية»، المجلس الأوروبي للعلاقات الخارجية، 7 نيسان/ أبريل 2014.

<https://bit.ly/3GARssF>

ولمزيد من المعلومات انظر سمير حسن:

<https://bit.ly/3I91b9V>



الجيش في استعادة تدمر من تنظيم داعش<sup>(18)</sup>.

ثالثًا، عندما عانت سورية نقصًا حادًا في القمح عام 2013، وأثر ذلك بشدة في قدرة الحكومة على إعالة شعبيها؛ تدخل الموالون، مرة أخرى، مثل سامر فوز (الذي لم يتعرض لأي عقوبات في ذلك الوقت) وشركته أمان القابضة، وحلّوا المشكلة، حيث حصل على مناقصة حصرية لاستيراد الحبوب إلى سورية وسلّمها إلى الحكومة<sup>(19)</sup>.

رابعًا، قام بعض رجال الأعمال بتمويل رحلات لجلب المؤيدين إلى سورية للتصويت للأسد. أحد هؤلاء كان مازن ترزي، الذي دفع في عام 2014 ثمن البطاقات لطائرة خاصة لنقل السوريين من الكويت، حتى يتمكنوا من التصويت لبشار في الانتخابات الرئاسية.

أخيرًا، عندما وصلت (داعش) إلى السلطة، سقطت جميع آبار النفط تحت سيطرتهم. لم يحرم هذا النظام السوري من مصدر دخل رئيس فحسب، بل حرّمه أيضًا من الطاقة. مرة أخرى، حاول الموالون من نخبة رجال الأعمال السورية إنقاذ النظام، من خلال لعب دور الوسيط، وشراء النفط من داعش. جورج حسواني، مالك شركة (هيسكو HESCO) وصديق مقرب للأسد، مثال جيد جدًا هنا لشخص لعب دور الوسيط، فقد اشترى النفط من داعش وباعه للنظام، وأدى ذلك في النهاية إلى وضعه على القائمة السوداء الأوروبية<sup>(20)</sup>.

(18) - يونس أحمد، «رجال الأعمال السوريون يستثمرون في إعادة الإعمار بعد الحرب»، العرب الأسبوعية، 5 حزيران/ يونيو 2016، <https://bit.ly/3GMTkhK>

وساسة بوست، نخبة الأسد المالية. بشار يستدعي رجال المال في معارك البقاع [النخبة المالية للأسد: بشار يستدعي رجال المال في معركة البقاع]، ساسة بوست، 30 آذار/ مارس 2018،

<https://bit.ly/3KhYx3v>

(19) - ساسة بوست، "نخبة الأسد المالية".

(20) - ديفيد بليز، وسيط النفط بين سورية وداعش هدف جديد لعقوبات الاتحاد الأوروبي، التلغراف، 7 آذار/ مارس 2015، <https://bit.ly/3FzYgYg>

وعهد فاضل، "جورج حسواني، وسيط فوق العادة لنفط داعش"، العربية، 4 كانون الأول/ ديسمبر 2015، <https://bit.ly/2PmPKW5>؛

وعمر الخطيب، «جورج حسواني: لعبة الأسد وسفيره إلى داعش» شبكة أخبار أورينت، 8 آذار/ مارس 2015، <https://bit.ly/318q3Lo>.

## مقاومة رجال الأعمال للنظام

عندما بدأت الانتفاضة السورية في عام 2011، توقع الناس أن يغيّر رجال الأعمال البارزون مواقفهم، وأن يضعوا حدًا لعهد النظام من خلال شلّ الاقتصاد. انحاز كثير من رجال الأعمال المغتربين الذين لا يعتمدون على السوق السورية، أو في الواقع لا يعتمدون على استمرارية النظام، علنًا إلى المعارضة<sup>(21)</sup>. ومع ذلك، سرعان ما انفصل معظم نخبة رجال الأعمال (السنيّة) عن حركة معارضة، اعتقدوا أنها ستثبت أنها خائنة لبيئة الأعمال، وهو الخوف الذي «تأكد في صيف 2012، عندما نهب متمرّدون من السنّة المنطقة الصناعية في حلب»<sup>(22)</sup>.

أناقش ثلاث حالات لإظهار كيف قاومت نخبة رجال أعمال النظام، بفاعلية. أولًا، رُحّب بمشاركة شخصيات من رجال الأعمال في أحد أقدم مؤتمرات المعارضة الممولة من قبل رجال الأعمال من عائلات سنقر وقربي الدمشقية، باعتبارها «تطورًا مهمًا»<sup>(23)</sup>. يجادل بسام حداد بأنه كان من الصعب على النظام الصمود لو أن حيتان رجال الأعمال في دمشق وحلب وقفوا إلى جانب المتظاهرين<sup>(24)</sup>.

ثانيًا، أُطلقت مبادرة سياسية أخرى من قبل نخبة رجال الأعمال في آذار/ مارس 2013 في الأردن، بعد عامين من بدء الانتفاضات، وأطلق عليها «مبادرة الضمير السوري»، حيث اقترحت بقاء الأسد في السلطة حتى عام 2014، وعدم تغيير الحكومة الحالية. التغييران الوحيدان اللذان كان من المقرر حدوثهما كانا سيوثران في وزير الدفاع ووزير الداخلية. كان من الواضح أن أيًا من المتمردين لم يأخذ هذه المبادرة على محمل الجد، لأنهم عدّوها «محاولة يائسة لإطالة عمر النظام البرجوازي الاستبدادي الحالي»<sup>(25)</sup>.

ثالثًا، حدثت بعض الانشقاقات بين الموالين للنظام، وأهمهم فراس طلاس، رجل الأعمال ونجل مصطفى طلاس الذي شغل منصب وزير الدفاع لأعوام، وكان ربيبًا لحافظ الأسد ومحميًا منه. باستثناء رجال الأعمال المقيمين خارج سورية، وانشقاق طلاس، لم تحدث تغييرات مهمة تتعلق بولاء رجال الأعمال المقربين من النظام.

(21) - أورورا سوتيمانو، «نخبة رجال الأعمال السورية: شبكات الرعاية واقتصاد الحرب»، سورية غير المحكية، 24 أيلول/ سبتمبر 2016، <https://bit.ly/3fxr7zC>

(22) - فابريس بالانش، «الطائفية في الحرب الأهلية السورية: دراسة جيوسياسية»، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 5 شباط/ فبراير <https://bit.ly/324tUgC>

(23) - لورين ويليامز، «مؤتمر رجال الأعمال السوريين يدعمون المعارضة»، الغارديان، 30 أيار/ مايو 2011، <https://bit.ly/33uu8hE>

(24) - بسام حداد، «العمود الفقري لأعمال النظام السوري»، تقرير الشرق الأوسط 262 (2012)، <https://bit.ly/3qxlurs>

(25) - غياث نعيسة، الطبقة البرجوازية السورية والثورة الشعبية، الحوار المتمدن، 1 حزيران/ يونيو 2014، <https://bit.ly/3laDduP>

## النظام يكافئ الموالين

ضمن غياب ساحة أعمال (بزنس) مستقلة عن الحكومة في سورية ولاء نخبة رجال الأعمال واعتمادها على الحكومة. وأدت سياسة النظام المتمثلة في التهرب من العلاقات التجارية مع المنظمات المالية الدولية، مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، إلى تقييد علاقات طبقة رجال الأعمال بنظام الأسد ومسؤولي الدولة، وهذا ما أدى بدوره إلى تحالف صمد في وجه الانتفاضة الحالية<sup>(26)</sup>. كافأ النظام الولاء بتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وذلك بشكل رئيس من خلال الإستراتيجيات الأربع التالية: منح المناصب السياسية؛ القبضة الاحتكارية على تهريب المواد الغذائية إلى المناطق المحاصرة؛ امتياز الوصول إلى الشركات والقطاعات التي تركها رجال الأعمال الذين فروا من سورية؛ الوصول إلى أكبر مشاريع (إعادة) الإعمار في سورية.

بدورهم، لم يتردد رجال الأعمال هؤلاء في إعلان ولائهم لنظام الأسد، خلال المراحل الأولى من الانتفاضات، عبر منصات التواصل الاجتماعي والدعاية والإعلان، وقاموا بفصل الموظفين الذين أرادوا المشاركة في الاحتجاجات ضد الأسد، أو المشاركة في الإضرابات الوطنية كوسيلة للاحتجاج<sup>(27)</sup>. ولم يكن مفاجئاً أن تستهدف العقوبات الأوروبية أفراداً سورين كانوا أقرب إلى النظام، مثل رامي مخلوف ومحمد حمشو وأيمن جابر. ومع ذلك، كانت العقوبات غير فعالة تماماً في إحداث شرخ بين النخبة والنظام، ولم تنجح في تشجيع النخبة على التخلي عن النظام<sup>(28)</sup>. تشير التقارير إلى أن رجال الأعمال الأثرياء المرتبطين جيداً بالنظام قد أثبتوا أنفسهم كلاعيب مهمين - ما يسمى تجار الأزمة - في ظل اقتصاد الحرب الأهلية المتوسعة، استغلوا الفرص التجارية التي نتجت عن الأزمة والعقوبات، واستفادوا منها<sup>(29)</sup>. بعد مدة، أصبح الأمر واضحاً للسورين بأن اللاعبين الرئيسيين الذين يدينون بثرواتهم للنظام لن يقفوا بالتأكيد إلى جانب المعارضة، ولن يتوقفوا عن تقديم المساعدة المالية.

حسام قاطرجي، تاجر سني لم يكن معروفاً قبل الانتفاضة، عمل كوسيط لتجارة النفط والحبوب بين المناطق التي يسيطر عليها الأكراد وداعش والنظام السوري. القاطرجي الذي ينشر بانتظام دعاية موالية للنظام على منصات التواصل الاجتماعي الخاصة به، كان أحد المستفيدين السياسيين من ولائه للنظام؛ حيث أمنت له خدماته مقعداً في مجلس الشعب عام 2016 كمثل لمحافظه حلب<sup>(30)</sup>. علاوة على ذلك، وافق النظام السوري في الآونة الأخيرة على بناء مصفاة لتكرير النفط في الرقة، ستديرها جزئياً شركة (أرفادا

(26) - حسام درويشه، «سورية والربيع العربي: كشف الطريق إلى الصراع السوري المطول»، موجز المعهد الآسيوي لدراسات السياسات 44 (2013): ص. 1-12.

(27) - نعيصة، "البرجوازية السورية".

(28) - عبود، "نخبة رجال الأعمال السورية"، ص. 4.

(29) - رون إف لايمه، «معاينة أسد سورية: رسم خرائط التداعيات الاقتصادية والاجتماعية الاقتصادية والسياسية للعقوبات الدولية المفروضة على سورية منذ آذار/ مارس 2011، المعهد الدانماركي للدراسات الدولية، العدد 13 (2012): ص. 7.

(30) - جوزيف ضاهر، «لا يزال نظام الأسد يعتمد على شظايا البرجوازية السنية»، سورية غير المحكية، 21 كانون الأول/ ديسمبر 2017، <https://bit.ly/3KfCWsl>

بترول يوم (Arfada Petroleum) التابعة لمجموعة القاطرجي<sup>(31)</sup>. وعلى الرغم من أن دعم القاطرجي أخضعه لعقوبات اقتصادية مختلفة، فإنه لا يزال مخلصاً بشكل فعال لنظام الأسد. مثال آخر، فارس الشهابي، رجل الأعمال السني من حلب، وابن شقيق حكمت الشهابي الذي كان رئيس أركان الجيش السوري، هو مؤيد صريح للنظام على منصات إعلامية مختلفة. نتج عن دعم الشهابي التنبهي انتخابه رئيساً لاتحاد غرف الصناعة السورية، في حزيران/يونيو 2012<sup>(32)</sup>.

إحدى إستراتيجيات النظام في إخراج قوات المعارضة من مناطقهم كانت من خلال استخدام تكتيكات الحصار. وآخرها، ربما الأطول، هو حصار الغوطة الشرقية. حيث اضطر سكان المنطقة إلى التعامل مع التجار المتعاونين مع النظام لتهريب المواد الغذائية وغيرها من الضروريات من دمشق إلى الغوطة، بأسعار باهظة. محي الدين المنفوش، حليف النظام من مسرابا، كان رجل الأعمال المسؤول عن إمداد الغوطة الشرقية بالطعام والوقود. ومن خلال علاقاته مع مسؤولي النظام، نجح في إيصال بضاعته عبر نقاط التفتيش/الجواز إلى المناطق المحاصرة، وبيعها بسعر يصل غالباً إلى عشرين ضعف القيمة الفعلية للبضائع. وفي الوقت نفسه، كان المنفوش يحصل على منتجات رخيصة من الغوطة مثل الحليب، ثم يبيعها في دمشق بسعر أعلى بكثير، ويتقاسم الأرباح مع النظام<sup>(33)</sup>. العلاقة التي يتمتع بها المنفوش مع النظام، والعلاقة التي أقامها مع الناس في الغوطة، ضمنت أن تظل أعماله سارية، مع استمرار منشأته في إنتاج البضائع التي تُباع في الغوطة ودمشق<sup>(34)</sup>. وعلاوة على ذلك، نجت مسرابا من هجمات النظام العسكرية كجزء من الصفقة بينهما<sup>(35)</sup>. وإضافة إلى ذلك، وقّع المنفوش على عقد مع الحكومة السورية، عام 2019، لإزالة الأنقاض من ثلاث مناطق في الغوطة الشرقية، وبيعها لمصانع لإعادة تدويرها<sup>(36)</sup>.

ومن المجالات الأخرى التي سيستفيد منها الموالون للنظام، أعمال إعادة الإعمار التي ستتم في سورية. بالنسبة إلى بشار الأسد ودائرتة الداخلية، ورجال الأعمال المرتبطين بنظامه، يُنظر إلى مشروع إعادة الإعمار هذا على أنه وسيلة سيتمكنون من خلالها من ترسيخ السلطة المكتسبة بالفعل، واستعادة الهيمنة السياسية والاقتصادية على سورية. في بداية عام 2017، كان النظام السوري يستعد لتطبيق المرسوم (66) على البلد بأكمله، وهو ما سيسهل تدفق الأموال إلى الشركات الخاصة ومحسوبي النظام المعفيين من الضرائب. يسمح المرسوم (66) للحكومة «بإعادة تصميم المناطق السكنية غير المصرّح بها أو غير القانونية»،

(31) - كرم شعار، «الاستثمار في سورية: "فرص مرتبة" تفوق التغيير الحقيقي»، معهد الشرق الأوسط، 9 تموز/يوليو 2020، <https://www.mei.edu/blog/investing-syria-photo-ops-outweigh-real-change>.

(32) - عبود، "نخبة رجال الأعمال السورية"، ص. 6.

(33) - الإيكونوميست، «عربو الألبان: مليونيرات الحرب الجدد في سورية»، الإيكونوميست، 1 حزيران/يونيو 2017، <https://econ.st/3qyvSPO>

(34) - يوسف صادقي، «اقتصاد حصار الغوطة الشرقية»، المجلس الأطلسي، 23 آذار/مارس 2016، <https://bit.ly/33oizss>

(35) - جوزيف ضاهر، "الثورة والثورة المضادة في سورية: الأصول والتطورات" (رسالة دكتوراه، جامعة لوزان، 2018): ص. 409.

(36) - عنب بلدي، المنفوش يزيل أنقاض ثلاث بلدات في الغوطة، بعقد مع مؤسسة الإسكان العسكري، عنب بلدي، 19 أيار/مايو 2019، <https://bit.ly/3lccaPP>

واستبدالها بمشاريع عقارية «حديثة» بخدمات عالية الجودة<sup>(37)</sup>. إضافة إلى ذلك، يفسح المرسوم الطريق، قانونياً ومالياً، لهدم المساكن و"نزع ملكية العائلات التي يعدونها معارضة، أو تعيش في مناطق معادية للأسد، وغالباً ما يكونون من الطبقة العاملة، ثم يستبدلونهم بطبقات اجتماعية أعلى، ونخب حرب جديدة، بشكل عام، أقل ميلاً لتحدي النظام<sup>(38)</sup>. وبالمثل، في نيسان/أبريل 2018، أصدر النظام أمراً آخر، وهو القانون 10، الذي يسمح للحكومة بمصادرة ممتلكات أولئك الذين لا يستطيعون إثبات ملكيتهم. وهذا أمر إشكالي إلى حد ما، حيث إن معظم الأشخاص المستهدفين بهذا القانون لا يعيشون في سورية<sup>(39)</sup>. ربح سامر فوز المناقصة الأولى، في أيلول/سبتمبر 2017، بقيمة (150) مليار ليرة سورية، ما يعادل (18,9) مليار دولار<sup>(40)</sup>. مازن ترزي، الذي تحدثنا عنه من قبل، كوفي بترسية المناقصات عليه لبناء مركز تجاري، بالإضافة إلى ستة مباني أخرى في مشروع إعادة إعمار في دمشق، يُدعى (ماروتا سيتي)<sup>(41)</sup>. ومن الأسماء الأخرى التي برزت وسيم قطان، إذ كوفي بعقد لإدارة مركز قاسيون للتسوق مدة خمسة وأربعين عامًا، وعقد لإدارة موقع عقاري رئيس في دمشق، تضمّن بناء فندق كبير من فئة الخمس نجوم ومركز تجاري<sup>(42)</sup>. وجد جميع رجال الأعمال المشاركين منذ ذلك الحين في مشروع (ماروتا سيتي) أنفسهم عرضة لعقوبات أوروبية وأميركية مختلفة.

باختصار، اختار بعض أعضاء نخبة رجال الأعمال عن وعي دعم نظام الأسد، بسبب الطبيعة التكافلية للعلاقة بينهم. كان هذا الولاء مدفوعاً بخليط من الاستقطاب والتعاون والقمع، حيث تمتع كثير من رجال الأعمال إما بمزايا مالية مختلفة جلبها ولائهم، وإما بخشيتهم من أن يخسروا أصولهم، مثل أولئك الذين ظلوا محايدين أو احتضنوا المعارضة. وقد ساعد ذلك الأسد في تجنب العواقب الاقتصادية الكارثية لأطول مدة ممكنة، وأسهم في تمويل الميليشيات والهيئات شبه العسكرية. بشكل عام، أثبتت العلاقة بين الموالين والأسد أنها ذات منفعة متبادلة كبيرة.

(37) - تقرير سورية، «لا سكن بديل لسكان منطقة المزة - منفذ حكومي»، تقرير سورية، 17 تشرين الأول/أكتوبر 2017.

<https://bit.ly/3tuPSVv>

(38) - جوزيف ضاهر، «مسألة إعادة الإعمار السوري، القضايا والديناميات»، مرصد العالم العربي والإسلامي ومنطقة الساحل، نيسان/أبريل 2018، نيسان/أبريل 2018.

<https://bit.ly/3rs8dzl>

(39) - أروى إبراهيم، "سورية: قانون الغائبين قد يفقد ملايين اللاجئين أراضيم"، الجزيرة، 7 نيسان/أبريل 2018.

<https://bit.ly/3GHXack>

(40) - جوزيف ضاهر، «مسألة إعادة الإعمار السوري»، ص. 3-6.

(41) - مراد عبد الجليل، "أسماء جديدة لرجال الأعمال في سورية من ورائهم؟" عنب بلدي، 1 تموز/يوليو 2018.

<https://bit.ly/3GAEZVD>

(42) - ضاهر، "الثورة والثورة المضادة"، ص. 427.

## ثمن البقاء على الحياد

من الواضح أن نظام الأسد استخدم وسائل قمع مختلفة ضد أعضاء نخبة رجال الأعمال الذين لم يدعموه دعمًا فعالاً. وتشمل هذه الممارسات الاستيلاء على الممتلكات، وتشويه السمعة، كما وجد الأفراد أنفسهم أيضًا أمام محاكم مكافحة الإرهاب المنشأة حديثًا يواجهون تهمةً باطلة<sup>(43)</sup>. على سبيل المثال، عماد غريواتي -رجل أعمال دمشقي سني شهير يمتلك عددًا من صالات عرض السيارات والمصانع المختلفة، بالإضافة إلى كونه رئيسًا لغرفة صناعة دمشق- هو مثال جيد للموالين الذين اختاروا أن يظلوا محايدين عندما بدأت الانتفاضة، ما أثار غضب النظام. أدى رفض غريواتي دعم النظام، من خلال عدم الموافقة على تمويل ميليشيات الشبيحة، إلى إدراجه في القائمة السوداء من قبل نظام الأسد<sup>(44)</sup>. لم يكتف النظام بملاحقة غريواتي نفسه، بل استهدف أيضًا أحد عشر فردًا من عائلة غريواتي، من خلال مصادرة أصولهم وأموالهم أيضًا. في نهاية المطاف، استولى سامر فوز على الأعمال التجارية التي يملكها غريواتي تحت مظلة شركته، أمان القابضة. مثال آخر هو صباغ شرباتي، قطب صناعة النسيج. كان شرباتي، وهو أحد كبار رجال الأعمال في حلب، يمول في البداية بعض ميليشيات الشبيحة. ومع ذلك، في عام 2016، رفض الاستمرار في الدفع وهرب إلى مصر، فاستولى النظام السوري على ممتلكاته<sup>(45)</sup>. فراس طلاس، الذي فر من البلاد بعد إعلان دعمه المعارضة السورية، وانشقاقه عن نظام الأسد، صادر النظام السوري أيضًا أصوله المختلفة. في عام 2014، نُقلت شركته (ماس MAS)، رسميًا إلى ملكية الدولة<sup>(46)</sup>.

أعطى القانون رقم (19)، الذي أصدره الأسد، عام 2012، بخصوص مكافحة الإرهاب، أسبابًا قانونية لمصادرة الممتلكات وتجميد أصول المتهمين بالإرهاب. وأفضل مثال على تداعيات هذا القانون هو رجل الأعمال المقيم في الإمارات العربية المتحدة، موفق القداح، وهو مستثمر عقاري رائد له أسهم في مشاريع عدة في حي يعفور الفاخر في ضواحي دمشق. كونه ينحدر من درعا، اتصل الأسد شخصيًا بالقداح في بداية الانتفاضات، على أمل تهدئة الأمور في درعا. وبما أن سكان بلده لم يقبلوا تدخله، لم يُحرز القداح تقدمًا يُذكر. وبدلًا من ذلك، قدّم للأسد قائمة بالمشكلات التي كان يعتقد أنه يجب إصلاحها، وهي خطوة أدت إلى إنهاء صداقته مع الأسد<sup>(47)</sup>. أدى حياد القداح إلى مصادرة النظام لأصوله، في عام 2014، بتهمة «تمويل

(43) - سوتيمانو، "نخبة رجال الأعمال السورية".

(44) - زمان الوصل، النظام يلاحق عماد غريواتي إلى دبي للحجز على أمواله، 12 تشرين الأول/أكتوبر 2017.

<https://bit.ly/3FyeizO>

(45) - بول حلي، «سادة الاقتصاد السوري الجدد: تقرير استقصائي خاص حول صعود وسقوط أباطرة الأعمال السوريين وعلاقتهم بالنظام»، أوريينت اليوم، 9 تشرين الأول/أكتوبر 2019.

<https://bit.ly/33FY62e>

(46) - ضاهر، «نظام الأسد لا يزال معتمدًا»: وريثو لوكادر، «فراس طلاس»: الشرك المحلي «لشركة لافارج في سورية»، ليبراسيون، 14 كانون الأول/ديسمبر 2017.

<https://bit.ly/3I6fgVm>

(47) - فؤاد عبد العزيز، موفق القداح: رجل الأعمال الذي أراد أن يكون ذا شأن عند بشار الأسد، 30 حزيران/يونيو 2016.

<https://bit.ly/3GAFbE1>



المنظمات الإرهابية»، و«المشاركة في جلب أسلحة إلى درعا»<sup>(48)</sup>. أُسقطت عنه هذه التهم بعد أربعة أعوام<sup>(49)</sup>.

---

(48) - الاقتصادي، "سورية: الحجز على أموال رجل الأعمال موفق القداح"، 8 حزيران/ يونيو 2014،

<https://bit.ly/31bJly1>.

(49) - هيئة التحرير، "سلطات الأسد تفرج عن أموال محتجزة لرجال الأعمال السوريين"،

<https://horrya.net/archives61708/>



## إعادة التفكير في الطبقة والأبوية الجديدة والصراع السوري

تناولت هذه الدراسة بالفحص إسهام نخبة رجال الأعمال السوريين في الصراع السوري، والفوائد التي نتجت عن ذلك، سواء بالنسبة إلى النخبة أم إلى الحكومة. توضح هذه الدراسة كيف أن الاختلافات الطبقية والتوجهات الأبوية الجديدة (نيو باترمونية) للنظام قد أسهمت بشكل كبير في الصراع السوري. فكيف تتناسب هذه الحالة السورية مع النقاشات النظرية الأكبر حول العلاقات الطبقية، والعلاقات بين الدولة ورجال الأعمال، فضلاً عن الحالات الأخرى في الشرق الأوسط؟

تُعدّ نظرية الطبقة الماركسية الأكثر شيوعاً بين الباحثين الذين يتعاملون مع موضوع الطبقة الاجتماعية. بينما بنى ماركس نظريته الشعبية المتعلقة بالطبقة الاجتماعية على الوضع الفردي للفرد داخل المجتمع وتسلسل هرمي طبقي معين، فإن هذا الموقف يعتمد على الدور الذي يلعبه الشخص في عملية الإنتاج<sup>(50)</sup>. نظرية ماركس مبنية بشكل أساسي على سرديّة عدم المساواة الاقتصادية، وأن الاقتصاد يلعب دوراً حيوياً في عملية التكوين الاجتماعي والتقسيم الطبقي<sup>(51)</sup>. يشرح هنية، مستوحياً من المفهوم الماركسي للطبقة، كيف أن الطبقة هي تعبير عن العلاقات والتفاعلات المختلفة بين الناس في مجتمع معين، وتشكلت من أجل الاستجابة لاحتياجات ذلك المجتمع، وهذه الطبقة هي دائماً علاقة اجتماعية<sup>(52)</sup>. وهكذا، إذا أردنا تطبيق التعريف الماركسي للطبقة على الشرق الأوسط، فإننا نجد التأثير السياسي، والعلاقات الشخصية، والنسب/السلالة، والتعليم، أكثر أهمية في تشكيل الطبقة من الجانب الاقتصادي وحده<sup>(53)</sup>. يجادل ضاهر بأن «الطبقة هي الفئة الاجتماعية الرئيسة التي يمكن من خلالها فهم ديناميات أي مجتمع»<sup>(54)</sup>.

يمكن للبرجوازية في أي مجتمع أن تتخذ أشكالاً عديدة، ليس أقلها أنها تميل إلى التغيير اعتماداً على الوضع السياسي والاجتماعي السائد الذي تظهر فيه. إن أكثر الأمثلة ملاءمة للبرجوازية، التي تتماشى مع هذه الدراسة، هي أمثلة برجوازية الدولة وطبقة البرجوازية الجديدة. يقدم بسام حداد تعريفاً عاماً لمصطلح «برجوازية الدولة» في السياق السوري على أنها<sup>(55)</sup>

النخبة السياسية المرتبطة بمختلف مؤسسات الدولة، وكذلك بالتنظيمات/الهيئات الحاكمة. وبصورة ثابتة، تحتل هذه النخب مناصب ظاهرة في السلطة، وتراكم ثروة كبيرة نتيجة موقعها داخل أجهزة الدولة.

(50) - ديفيد سيلز، الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية (نيويورك: ماكميلان وفري برس، 1968)، ص. 297.

(51) - حنا بطاطو، «التحليل الطبقي والمجتمع العراقي»، فصلية الدراسات العربية 1، العدد 3 (1979): ص. 229 - 244.

(52) - آدم هنية، أنساب الثورة: قضايا الرأسمالية المعاصرة في الشرق الأوسط (شيكاغو، إلينوي: هايماركت بوكس، 2013)، ص. 6.

(53) - جيمس بيل، «التحليل الطبقي وجدل التحديث في الشرق الأوسط»، المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط 3، العدد 4 (1972): ص. 417-434.

(54) - ضاهر، «الثورة والثورة المضادة»، ص. 57.

(55) - حداد، «برجوازية الدولة في سورية»، ص. 232.

جادل جون ووتربري بأن برجوازية الدولة لا تشكل طبقة بالمعنى التقليدي<sup>(56)</sup>. تدور حجة ووتربري حول حقيقة أن برجوازية الدولة هذه لا تسعى لإعادة إنتاج نفسها أو إعادة تسميتها، لأنها تتحكم في وسائل الإنتاج. يشرح حداد كيف أن الباحثين الآخرين لم يطعنوا في فكرة ووتربري، في ما يتعلق بغياب الوضوح حول أعضاء برجوازية الدولة، أهم في الأساس أعضاء في طبقة واحدة أم لا<sup>(57)</sup>.

وفقًا لبريتريس، يمكننا تحديد «الطبقة الجديدة» من خلال ثلاث خصائص رئيسية. أولاً، ترتبط الأنشطة الرئيسية «للطبقة الجديدة»، بطريقة أو بأخرى، بالدولة. وثانيًا، تطلب هذه الطبقة دائمًا الحصول على إعفاءات ومعاملة خاصة عندما يتعلق الأمر بعصيان القواعد من أجل التقدم، خاصة عندما يتعلق الأمر بإضفاء الشرعية على الأنشطة غير القانونية. وثالثًا، تعتمد إلى حد كبير على الاحتكارات في قطاعات معينة من الاقتصاد<sup>(58)</sup>. هذه الخصائص واضحة جدًا في ظل حكم بشار، ولا سيّما منذ بداية الصراع، حيث كان أعضاء هذه «الطبقة الجديدة» منقذين للنظام في مناسبات عديدة، إما من خلال تمويل المجموعات (شبه العسكرية للمساعدة في قمع الانتفاضة، وإما من خلال إنقاذ النظام من آثار العقوبات الاقتصادية، أو تولى دور الوسيط من أجل تزويد النظام بالحبوب والنفط. يتحدث ريموند هينبوش (2004: 87) أيضًا بأن التحالفات والعلاقات المختلفة التي تمت بين نخب الدولة ورجال الأعمال قد أسهمت في تكوين «برجوازية جديدة»، وهي شبه رسمية، ويمتد تأثيرها إلى كل من القطاعين العام والخاص<sup>(59)</sup>. ويجادل شامل العظمة بأن هذه الشراكات التي تم إنشاؤها حديثًا ظلت «شديدة العدوانية»، حيث كان لأعضاء برجوازية الدولة ونخبة الدولة اليد العليا، عندما يتعلق الأمر بإملاء شروط هذه التحالفات<sup>(60)</sup>.

عندما نتحدث عن النماذج المختلفة من البرجوازية التي أنشأتها الدولة، كوسيلة للحاكم للبقاء في السلطة والحفاظ على فعالية جميع الاحتكارات المختلفة، لا يمكن للمرء أن يتجنب ذكر مفهوم، أو بالأحرى سلوك، الأبوية (الجديدة). لا تستطيع الطبقة وحدها تفسير طبيعة العلاقة بين النظام وزبائنته، وطريقة تعاملهم مع الصراع السوري. تقدم الأبوية (الجديدة) في هذه الحالة الحلقة المفقودة. يُعرّف أوليفر شلمبرغر السمة المفتاحية للأبوية الجديدة بأنها الحرية التي يتمتع بها الحاكم السياسي، عندما يتعلق الأمر بشرعية أفعاله<sup>(61)</sup>. وبذلك، فإن نقص القيود ليس سوى

ممارسة غير رسمية للسلطة في نظام مشخص يستمتع فيه الحاكم بشبكات غير رسمية، ووثيقة مع «دوائر» مختلفة من أعضاء النخبة [..]. وهم الموالون شخصيًا للحاكم الذي يعمل كحكم بين التنافس

(56) - جون ووتربري، "شفق/ فترة انحطاط برجوازية الدولة؟"، المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط 23، العدد 1 (1991): ص. ص 17-1.

(57) - حداد، "برجوازية الدولة في سورية"، ص. 234.

(58) - فولكر بريتريس، «نظرة على الطبقة العليا في سورية: البرجوازية والبعث»، تقرير الشرق الأوسط 170 (1992): ص. ص 31-37.

(59) - ريموند هينبوش، سورية: الثورة من الأعلى (لندن، روتلج، 2002)، ص. 87.

(60) - العظمة، طريق سورية إلى الصراع»، ص. 501.

(61) - أوليفر شلمبرغر، «الرأسمالية الأبوية: الإصلاح الاقتصادي والنظام الاقتصادي في العالم العربي» (رسالة دكتوراة، معهد إبرهارد كارلس في توبنغن للعلوم السياسية، 2004)، ص. 36.

على مصالح النخبة وتحقيق التوازن بينهم<sup>(62)</sup>.

وفقاً لإردمان وإنجل، الأبوية الجديدة هي خليط من نمطي هيمنة متشابكين جزئياً، ويتعايشان "في ظل الأبوية الجديدة (نيوباترمونية)، وكل علاقات القوة بين الحاكم والمحكوم، سواء أكانت سياسية أم إدارية، هي علاقات شخصية؛ ولا يوجد فرق بين المجال الخاص والعالم العام"<sup>(63)</sup>. وتجادل إيفا بيلين: إذا كان الجهاز القسري منظماً على أساس أبوي لا مؤسسي، فمن المرجح أن يكون أقل تقبلاً لفكرة تغيير النظام، لأنه من المرجح أن يتم تدميره من خلال الإصلاح<sup>(64)</sup>. في كتابه "الشعب يريد"، يؤسس جلبرت الأشقر مفهوم الأبوية على عمل ماركس، حيث يعرّف الأبوية بأنها "نموذج مطلق وراثي من السلطة الأوتوقراطية القادرة، مع ذلك، على العمل مع حاشية من العائلة والأصدقاء (Kith & Kin)"<sup>(65)</sup>. يجادل كل من شلمبرغر وأشقر بأن جميع الدول العربية تعرض أشكالاً اجتماعية أبوية أو أبوية جديدة من التنظيم، إلى حد لا مثيل له في أي مكان آخر في العالم<sup>(66)</sup>. يمكن رؤية الأبوية الجديدة (Neopatrimonialism) بشكل خاص في الممالك والمشيخات في كل الشرق الأوسط، ومع ذلك، فإنها لا تقتصر على مثل هذه البلدان فقط.

يعترف جيسون براونلي (2002) بأربع دول غير ملكية في الشرق الأوسط، لها خصائص أبوية (جديدة) مميزة: سورية الأسد؛ عراق صدام حسين؛ ليبيا القذافي؛ تونس بورقيبة<sup>(67)</sup>. يعتقد أديب نعمة أن المتظاهرين الذين هتفوا «الشعب يريد إسقاط النظام» كانوا يتحدثون بشكل أساسي عن الخصائص الاستبدادية، أو الأبوية، أو الفاسدة، أو الربعية، لهذه الأنظمة التي تحدد مجتمعة ما يشار إليه بصفة «دولة أبوية جديدة Neopatrimonial state»<sup>(68)</sup>. يشرح الأشقر أيضاً كيف يستغل أعضاء النخب الحاكمة، والدوائر ذات المكانة التجارية، في الدول الأبوية (الجديدة)، السلطة التي تمنحها لهم السلطات، ويستغلون هذه السلطة من أجل مراكمة الثروة<sup>(69)</sup>. تم بناء هذا المستوى من الأبوية في سورية وترسيخه، من خلال مركزية السلطة في شخص الأسد وأولئك الموالين له؛ وبناء عبادة شخصية الأسد، سورية الأسد، وتشكيل العلاقات والشبكات بين الدولة ورجال الأعمال<sup>(70)</sup>. أصبح الحكم الاستبدادي السوري ببساطة «استبداداً

(62) - شلمبرغر، المرجع السابق، ص. 37.

(63) - غيرو وإردمان وأولف إنجل، «إعادة النظر في الأبوية الجديدة: ما وراء المفهوم الشامل»، ورقة عمل 16، 1 شباط/فبراير 2006، المعهد الألماني للدراسات العالمية ودراسات المنطقة 16، 1 شباط/فبراير 2006.

<https://bit.ly/3GCNK1o>

(64) - إيفا بيلين، «إعادة النظر في قوة الاستبداد في الشرق الأوسط»، السياسة المقارنة 44، العدد 2 (2012): ص. 127-149.

(65) - جلبرت الأشقر، الشعب يريد: استكشاف جذري للانتفاضة العربية (كاليفورنيا: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 2013)، ص. 58.

(66) - أشقر، الشعب يريد، ص. 59، وشلمبرغر، «الرأسمالية الأبوية: الإصلاح الاقتصادي»، ص. 1.

(67) - جيسون براونلي، «ومع ذلك يستمرون: شرح البقاء والانتقال في أنظمة الأبوية الحديثة»، دراسات في التنمية الدولية المقارنة 37، العدد 3 (2002): ص. 35-63.

(68) - أديب نعمة، الدولة الأبوية الجديدة والربيع العربي (بيروت: معهد عصام فارس للسياسة العامة والشؤون الدولية، الجامعة الأميركية في بيروت، 2016)، ص. 25.

(69) - أشقر، الشعب يريد، ص. 62.

(70) - العظمة، «طريق سورية إلى الصراع»: العظمة، شبكات الأعمال في سورية. هذا مصطلح شائع بين مؤيدي الأسد وتستخدمه وسائل

أبويًا باردًا، وغير مهتم، بأي شكل من الأشكال، بأحوال الناس ومصيرهم، ومحكومًا علانية من زواج معلن بين رجال الأعمال ونخب الدولة»<sup>(71)</sup>.

ينعكس هذا بوضوح في الإستراتيجيات الخمس، من ضمن ذلك الأساليب الزوجية أو المالية أو الوسيطة؛ التي اتبعتها النظام من أجل توطيد العلاقات بين الدولة ورجال الأعمال (البنس). عندما بدأت الانتفاضة، افترض كثير من السوريين أن رجال الأعمال الستة سيدعمون المعارضة، ويُسهمون في إسقاط النظام من خلال شلّ الاقتصاد السوري. ومع ذلك، حدث العكس حيث فعلت الأغلبية العكس تمامًا، وأسهمت في إطالة أمد الصراع وحكم الأسد. لكن هذا لا يعني أن جميع رجال الأعمال وقفوا إلى جانب الأسد، فهناك أمثلة لأشخاص عارضوه بفعالية. ناقشت الدراسة ثلاث حالات. الحالة الأولى مشاركة شخصيات من رجال الأعمال في أحد المؤتمرات الأولى بتمويل من رجال أعمال من عائلتي سنقروقربي الدمشقيتين، الذين اختلفوا بالفعل مع نظام الأسد. الحالة الثانية إطلاق مبادرة سياسية أخرى من قبل نخبة رجال الأعمال في آذار/ مارس 2013 في الأردن، بعد عامين من بداية الانتفاضات، وأُطلق عليها اسم مبادرة الضمير السوري، لكن هذه المبادرة لم تتبناها المعارضة السورية. والحالة الثالثة حدوث بعض الانشقاقات بين الموالين للأنظمة، وأهمها انشقاق فراس طلاس. بخلاف رجال الأعمال المقيمين خارج سورية وانشقاق طلاس، لم تحدث تغييرات مهمة تتعلق بولاء رجال الأعمال المقربين من النظام.

استخدم النظام السوري أدوات مختلفة للقمع والاستقطاب، من أجل توطيد العلاقات التي تربطه بنخبة رجال الأعمال. وكوفي رجال الأعمال، الذين تعهدوا بنشاط بالولاء لنظام الأسد خلال المراحل الأولى من الانتفاضة، من خلال منصات وسائل التواصل (الاجتماعية) والدعاية، بمزايا مختلفة. من الأفضل تقسيم هذه الفوائد إلى أربع إستراتيجيات: المناصب السياسية؛ القبضة الاحتكارية على تهريب المواد الغذائية إلى المناطق المحاصرة؛ امتياز الوصول إلى قطاعات الأعمال والأعمال التي خلفها أولئك الذين فرّوا من سورية؛ والوصول إلى أكبر مشاريع (إعادة) الإعمار في سورية. على الرغم من أن دعمهم للنظام عرض كثيرًا منهم لعقوبات مختلفة، فإن هذه العقوبات فشلت في تقويض العلاقات بينهم وبين الدولة، ولم تنجح في تحفيز مزيد من رجال الأعمال على الانشقاق.

الإعلام الموالية بشكل كبير لأغراض دعائية. يربط هذا المصطلح سورية بعائلة الأسد، حيث يكون حافظ الأب الخالد للبلاد، مما يدل على الطبيعة الأبوية والاستبدادية للبلاد في ظل نظام الأسد. التعبيرات الاصطلاحية الشائعة الأخرى، خاصة أثناء الصراع، هي «الأسد أولاً» و«الأسد أو نحرق البلاد»، وكلاهما يعزز هذه الرابطة بين سورية وحكم الأسد.

(71) - محمد بامية، «التنوير الفوضوي والليبرالي والسلطوي: ملاحظات من الربيع العربي»، جدلية، 30 تموز/ يوليو 2011،

<https://bit.ly/3FyYtIK>

## الخاتمة

لم يستخدم حكم الأسد، بوصفه نظامًا استبداديًا، أساليب الاستقطاب لتوجيه سلوك نخبة رجال الأعمال فحسب، بل استخدم كذلك القمع. وشملت الإجراءات العقابية التي اتخذها النظام مصادرة الممتلكات، وتجميد الأصول، وتشويه السمعة. وقدّم القانون (19)، الصادر في عام 2012، المبرر القانوني لمثل هذه الإجراءات، واستدعي رجال الأعمال إلى محاكم مكافحة الإرهاب بتهم باطلاة. وفضلاً عن ذلك، وُزعت الممتلكات المصادرة على الموالين الذين أثبتوا جدارتهم للنظام.

لم تقتصر الفوائد التي قدّمها النظام على العلويين، لأن معظم الشخصيات التي نُوقشت في المقال تنحدر من المجتمع/ الطائفة السنيّ. وهذا يدل على أن إستراتيجيات الاستقطاب المتعددة للنظام لا تستند إلى الطائفة وحدها، بل تعتمد هذه الأدوات والإستراتيجيات أيضاً على خليط من الأساليب الطبقية والأبوية (الجديدة) التي كانت فعّالة في إطالة أمد الصراع وحكم النظام. باختصار: إن النظر إلى الصراع الحالي من منظور الطبقة والأبوية الجديدة يوفر فهماً مختلفاً للأنظمة الاستبدادية وبنيتها، مع تقييم قوة هذه الأنظمة والتنبؤ بأساليبها في حالة الانتفاضات.

بعد أن عمل نظام الأسد على رعاية الطبيعة التكافلية لعلاقته مع نخبة رجال الأعمال؛ نجح في نشر خصائصه الأبوية الجديدة لتعبئة محسوبيه، وأعاق أيّ تغيير سياسي آخر في البلاد. وبالنظر إلى الأمثلة المقدمة من قبل، فإن مقاربات القمع والاستقطاب التي يتبعها الأسد، في إخضاع وتعبئة أفراد الطبقة الجديدة، هي دليل واضح على أهمية الطبقة والأبوية الجديدة في الدولة السورية بشكل عام، والصراع السوري بشكل خاص.

## مركز حرمون للدراسات المعاصرة

هو مؤسسة بحثية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث السياسية والاجتماعية والفكرية المتعلقة بالشأن السوري خاصة، والصراع الدائر في سورية وسيناريوهات تطوره، وتهتم بتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي. كما تهتم أيضاً بالقضايا العربية، والصراعات المتعلقة بها، والعلاقات العربية الإقليمية والدولية. يُنفذ المركز مشاريع ونشاطات، ويُطلق مبادرات من أجل بناء مستقبل سورية، على أسس وقيم الديمقراطية والحرية والمساواة وحقوق الإنسان وقيم المواطنة المتساوية، ويسعى لأن يكون ميداناً للحوار البناء، وساحة لتلاقح الأفكار.

أبحاث سياسية

أبحاث اجتماعية

أبحاث اقتصادية

ترجمات

أبحاث قانونية

[www.harmoon.org](http://www.harmoon.org)

مركز حرمون للدراسات المعاصرة  
Harmoon Center for Contemporary Studies  
Harmoon Arařtırmalar Merkezi

Doha, Qatar Tel. (+974) 44 885 996 PO.Box 22663  
Istanbul, Turkey Tel. +90 (212) 813 32 17 PO.Box 34055  
Tel. +90 (212) 524 04 05